**مدخل:**

خلق الإنسان اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش بمعزل عن غيره، وامتلك القدرة على التأمُّل والتدبُّر في كل ما يحيط به وما يعيشه، فاستطاع بفكره التعبير عن أحواله النفسية وأوضاعه الاجتماعية ومواقفه السياسية وتطلعاته العلمية والثقافية وذلك بأساليب متنوعة متعددة، فالرسام يختزل مواقف الحياة في مجموعة من الأشكال والألوان، والموسيقى يجمعها في حقول من النغمات والألحان ، والأديب الفنان ينظمها قصيدة مرصَّعة بالبديع والبيان، أو رواية أحداثها شائقة وأبطالها شجعان.

ومن هذا المنطلق امتلك الفن قدرة التعبير عن المجتمعات باختلافها، والأدب أوثق الفنون صلة بالمجتمع لأن بإمكانه رصد الواقع والوقوف على جزئيات البنية الاجتماعية.

فالأدب رفيق الزمن وظله الذي يحاكي تقدمه وامتداده، فللعصور القديمة آدابها، فمن الملاحم اليونانية وما قدمته "الإلياذة" و "الأوديسيا" و "الأساطير" القديمة باعتبارها أجناسا أدبية، ساهمت في التعبير عن المجتمعات القديمة ، مرورا بالأدب العربي القديم ، الذي مثله الشعر الجاهلي المُلخِصْ للحياة الجاهلية بِعنجلِيّتها وعصبيتها القبلية، فها هو ذا الأعشى يقول متعصبا لقبليته :

" وأَدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الخَفَاجِي مُلْخِباً"

ثم عصر صدر الإسلام، الذي تفرغ فيه الشعراء إلى نشر الدعوة الإسلامية وتعاليمها، من خلال قصائدهم وأشعارهم، فهاهو ذا حسّان ابن ثابت يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم:

هَجَوْتَ مُحَمَداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَلِكَ الجَزَاءُ

فَإِنَ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

إلى العصر العباسي عصر التحول الفكري والاجتماعي، نظمت قصائد تتغنى بالملوك والأمراء، وتصف مجالس اللهو والترف، فأبو نواس يعطي نموذجا عن المجتمع العباسي إذ يعيش في متاهة الخمر وترف الدنيا.

انتقالا إلى العصر الحديث والمعاصر، الذي تزامن مع النهضة الفكرية والاجتماعية، الذي تمحورت موضوعات شعره حول قضايا الأمة العربية من أجل رفع الهمم وإيقاظ الضمائر.

فرغم أن الشعر استطاع عبر العصور بطريقته الأدبية معالجة القضايا الاجتماعية وحافظ على علاقته كجنس أدبي مع المجتمع إلّا أن السرد امتلك القدرة على التعبير عن المجتمع من سبل يسيره نظراً لطلاقة التعبير وسعة الوصف والتحليل مثل: المقامة والمقالة والرسالة والمسرحية والقصة والرواية بصفة خاصة، إذ يذهب "رولان بارث" في بعض كتاباته إلى أن:" الرواية عمل قابل للتكيف مع المجتمع ، وأن الرواية تبدو وكأنها مؤسسة أدبية ثابتة الكيان فهي الجنس الأدبي الذي يعبر بشيء من الامتياز عن مؤسسات مجموعة اجتماعية وبنوع من رؤية العالم الذي يجره معه ويحتويه في داخله".[1]

فالرواية مرآة تعكس ملامح المجتمع والمتتبع لمسيرة الرواية العربية يجدها قد انبثقت ونبعت من المجتمع تحدد معطياته الفكرية والسياسية والاقتصادية.

لقد صورت الرواية العربية واقع الأمة ومجتمعها الموجود بين مطرقة الاستعمار وسندان الأزمات والأمراض والفقر والآفات الاجتماعية وباختلاف المجتمع العربي اختلف المضمون في كل رواية مصرية كانت أو جزائرية أو مغربية فكل رواية تعبر عن كتلة اجتماعية معينة.

"تمتلك الرواية الجزائرية خصوصية التعبير عن مجتمع تدرج عبر محطات تاريخية مختلفة، إذ تعتبر عتبة السبعينيات هي البداية الفعلية والنشأة الجادَّة للرواية الجزائرية الناطقة باللسان العربي كما أجمع أغلب النقاد والباحثين والمتمثلة في إنتاج "عبد الحميد بن هدوقة"، ورواية " ريح الجنوب" سنة 1970م، المعبرة في محتواها عن طموحات الإنسان الجزائري وكفاحه المسلح وواقعه المعيشي كما تتحدث عن المرأة والأنظمة الإقطاعية والثورة الزراعية وتلتها روايتان ل: "الطاهر وطار" هما : "الزلزال" و" اللاز" وهي روايات تصب في نفس السياق إذ تمثل الاتجاه الواقعي المتمحور حول التعريف بمجتمع جزائري حديث الاستقلال له أفكاره ونظرته الخاصة".[2]

[1] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عام المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ديسمبر 1998 ،ص34 .

[2] ينظر: محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ،د ط، ص11.

ليطل فجر التسعينات بموجة الإرهاب وسفك الدماء وسلطة السياسة، فترة من النشاطات الفنية الروائية عرض الحائط تعاني الأمرَّين، مرارة الواقع، وفساد السلطة.

لقد كان لهذا أثر في تغيير مسيرة الرواية الجزائرية، شكلا ومضمونا لتصبح ذات خصائص وفنيات جديدة، كالتي كتبتها "أحلام مستغانمي" ذاكرة الجسد"، " عابر سرير" و" فوضى الحواس" وهكذا دوليك.

وتوالى الركب في الإبداع، حتى يومنا هذا مع روايات جديدة، ورواة جدد.

وفي خضم هذا الإنتاج، استوقفتنا رواية "ريح الجنوب"، ليس لصورها الظاهرة، إنما لمكوناتها الداخلية من فنيات جمالية زادتها سطوعا وعمقا، إذ تبلور لنا المظاهر الاجتماعية من حيث الدلالة الاجتماعية للمكان والشخصيات وعلاقاتها المختلفة كما تبين الموروث الثقافي والفكري لمجتمع معين.